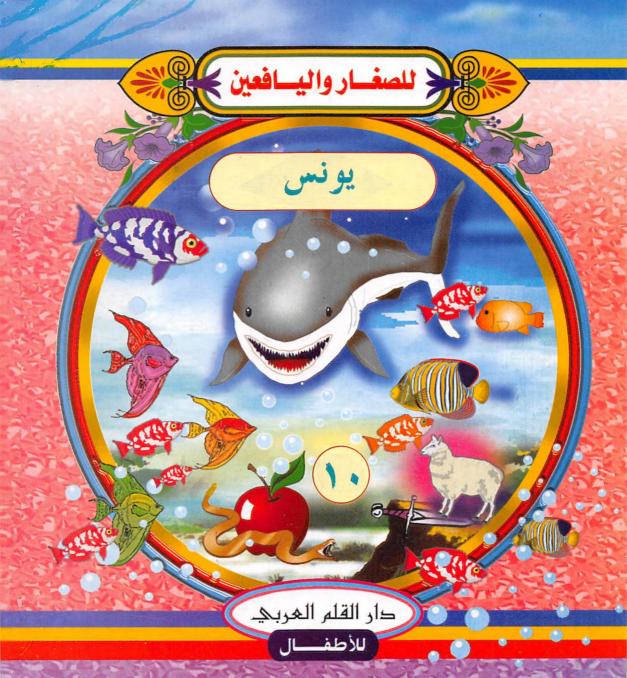
فجرُ العُدى والإيمان

ولينها المعولي



فجرُ العُدى والإيمان

من قصص الأثنياء

الصغار واليافعين

- ١- أدم عليه السلام
- ٣- هود عليه السلام
- ٥- إبراهيم عليه السلام
- ٧- يـُـوسـُـف علـيـه الـســـلام
- ٩- أيسوب عليه السلام
- ۱۱– موســـی علـــیـــه الــســـلام
- ١٢- سُـلـــمان عليه السلام
- ١٥- عيــســي علـيــه الـســلام ٢

- ٢- نوح عليه السلام
- ٤- صالح عليه السلام
- ٦- إسماعيل عليه السالام
- ٨- شعيب عليه السالام
- ١٠- يـونُس علـيـه الـسـلام
- ١٢- داود عليه السلام
- ١٤- زكريا وكيي عليهما السلام
- ١٦- محمد صلى الله عليه وسلم

من قصص الأنبياء ، قصص أنيرت وزيدت إشراقاً بذكر أخبار رُسُل الرحمة والإنسانية ، رُسُل الحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فَجرَ الهدى والإيمان ، صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر، واقتلعوا منها الأوهام والاباطيل ودعوا إلى عبادة إله واحد لاشريك له ، بدءاً من آدمَ عليه السلام وإنتهاء كاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمه من رُسُل وأنبياء . قال الله تعالى: (وَكُلاً نَقُصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاء الرُسُل مَا تُثَبَّتُ بِهِ فُوْادَكَ وَجَاء لَكَ فِي هذه الحقق وَمَوْعِظة وَذِكْرَى للمُوْمِنِيْن)

الناشر

ALCEL!





مراجعة : يُوسف عبد الكريم عساني

إعداد وترتيب: زهير مصطفى

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم بحلب ولا يجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر



منشورات دار القلم العربي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية مضبوطة ومشكولة 1421هـ ـ 2001 م

عنوان الدار:

سورية _ حلب _ خلف الفندق السياحي _ شارع هدى الشعراوي ص.ب:78 هاتف: 2213129 فاكس: 781221 2 963+

بشمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيْ كَتَابِهِ الْعَزِيْزِ:

﴿ نَعَنُ نَقُشُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَنَذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كَانَ عَلِن كَانَتُ مَانَ الْقُرْءَانَ وَإِن كَانَتُ مِن قَبْلِهِ عَلَيْنَ ٱلْغَنْفِلِينَ ﴾ (١).

فَقَدْ خَاطَبَ اللهُ تَعَالَى فِيْ كَتَابِهِ الْعَزِيْزِ الذِيْ ﴿ لَا يَأْنِيهِ ٱلْبَطِلُ مِنْ بَيْنِ اللهُ تَعَالَى فِيْ كَتَابِهِ الْعَزِيْزِ الذِيْ ﴿ لَا يَأْنِيهِ ٱلْبَطِلُ مِنْ بَيْنِهِ مُحْمَّداً ، ﷺ مُحْمَّداً ، ﷺ مُخْبِراً إيّاهُ عَليْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ، أنَّ هَذِهِ القِصص الواردة فِيْ القُرْآنِ الكَرِيْمِ ، مَاهِيَ إلا فَرْكرَى تُنبَّهُ المُؤْمِنِينَ إلى مَا كَانَ مِنْ أَخْبَارِ الأَمْمِ السَّالفَةِ ، وَمَاذَا حَل بِهِمْ بَعْدَ أَنْ طَغَوْا وَبَغَوْا ، وَتَكَبَّرُوا وَأَعْرَضُوا عَنْ كَلمَةِ الحَقِّ وَاسْتَمَرُّوا فِيْ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ ، فَحَقَّ عَليْهِمُ العَذَابُ يَقُول اللهُ مُسْجَانَهُ وَتَعَالَى :

﴿ وَكُلَّا نَقُصُ عَلَيْكَ مِنْ آئَبُآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَيِّتُ بِهِ عَفُوَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَلَاهِ ٱلْحَقَّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُوْمِنِينَ ﴾ (٢).

⁽١) سورة: يوسف (٣).

⁽٢) سورة: هود الآية (١٢٠).

فَقَدْ حَوى القُرْآنُ الكرِيمُ أَنْبَاءَ الأَمْمِ السَّالفَةِ وَأَخْبَارَ مَا بَعْدَهَا، وَرَوَاهَا بِصِدْقٍ، فَهُو مُعْجِزٌ فِيْ صِدْقِهِ وَإِخْبَارِهِ، لأَنَّهُ كَتَابُ صِدْقِ وَرَوَاهَا بِصِدْقٍ، فَهُو مُعْجِزٌ فِيْ صِدْقِهِ وَإِخْبَارِهِ، لأَنَّهُ كَتَابُ صِدْقِ وَحَقّ. فَقَدْ أَعْلَمَنَا اللهُ عَزَّ وَجَل، فِيْ القُرْآنِ الكرِيْمِ، عَنْ أَنْبَاءِ أَثْبَتَهَا العُلمَاءُ فِيْمَا بَعْدُ فَتِلكَ الأَحَادِيثُ وَالأَخْبَارُ، لَمْ يُؤْتَ بِهَا عَبَثَا، وَلَمْ تَكُنْ كَذِبَا، بَل هِيَ أَخْبَارٌ صَادِقَةٌ صَحِيْحَةٌ، لأَنَّهَا تَصْدُرُ عَنْ رَبِّ هَذَا الكَوْنِ وَخَالقِهِ، وَعَنْ إله عَظِيْمٍ لاحُدُوْدَ لقُدْرَتِهِ، إذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولُ للسَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأَوْلِي ٱلْأَلْبَئِ (١) مَا كَانَ حَدِيثَا يُفْتَرَعَ (٢) وَلَنَا لَكُنَ مَدِيثَا يُفْتَرَعَ (٢) وَلَنَا اللَّهُ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَعَ (٢) وَلَنْكِن نَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَكَذَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمِ وَلَكَ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّه

نَعَمْ ، أَيُّ القَصَصِ أَكْثَرُ عِبْرَةً وَعِظَةً ، وَفَائِدَةً ثُرْجَى ، وَعِلْمَا يُنْتَفَعُ بِهِ ، مِنْ قَصَصِ القُوْآنِ ؟ وَمِنْ هَذِهِ القَصَصِ التِي حَدَّثَنَا بِهَا اللهُ عَزَّ وَجَل ، فِيْ كَتَابِهِ العَزِيْزِ ، قِصَّةُ النَّبِيِّ يُونُسَ عَليْهِ السَّلامُ ، وَغَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ الذِيْنَ ذَكَرَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَل فِيْ بَعْضِ السُّورِ وَالذِيْنَ قَصَصْنَا لَبَعْضِهِمْ وَسَنَقُصُ لِبَعْضِهِمُ الآخرِ . يَقُول الله عَزَّ وَجَل فِيْ سُورةِ الصَّافَاتِ :

⁽١) الألباب: العقول.

⁽٢) يفترَى: يُكذب.

⁽٣) سورة: يوسف (١١١).

النبي يونس

أَرْسَلِ اللهُ عَزَّ وَجَل، النَّبِيَّ يُوْنُسَ إلى أَهْل نَيْنَوَى (١١)، الذِيْنَ كَانُوا يَعْبُدُوْنَ الأَصْنَامَ وَالتَّمَاثِيْل، التِيْ لا تَنْفَعُ وَلا تَضُرُّ، وَالتِيْ كَانُوا يَصْنَعُوْنَهَا بَأَيْدِيْهِمْ، ثُمَّ يَسْجُدُوْنَ لهَا وَيُعَظِّمُوْنَهَا، يَالهُمْ مِنْ كَانُوا يَصْنَعُوْنَهَا بَأَيْدِيْهِمْ، ثُمَّ يَسْجُدُوْنَ لهَا وَيُعَظِّمُوْنَهَا، يَالهُمْ مِنْ

⁽١) أَبَقَ: هرب.

⁽٢) الفلك: السفينة.

⁽٣) ساهم: أي ضرب القرعة.

⁽٤) المدحضين: المغلوبين بالقرعة.

⁽٥) فالتقمه: ابتلعه.

⁽٦) مُليم: أي أتى بما يلام عليه.

⁽٧) نبذناه: ألقيناه من بطن الحوت.

⁽٨) سقيم: عليل مريض.

⁽٩) يقطين: القرع.

⁽١٠) سورة: الصافات (١٣٩ ـ ١٤٧).

⁽١١) نينوى: مدينة في العراق.

حَمْقَى يَعْبُدُونَ أَصْنَاماً حَجَرِيَّةً، لاَتَنْطِقُ، بَل لَيْسَتْ قَادِرَةً عَلَى دَفْعِ الضُّرِّ عَنْ نَفْسِهَا، فَكَيْفَ تَدْفَعُ الضُّرَّ عَنْ غَيْرِهَا؟ وَهُمْ كَغَيْرِهِمْ مِنَ النُّرِّ عَنْ نَفْسِهَا، فَكَيْفَ تَدْفَعُ الضُّرَّ عَنْ غَيْرِهَا؟ وَهُمْ كَغَيْرِهِمْ مِنَ الكُفَّارِ وَالمَشْرِكِيْنَ، يَعْبُدُونَهَا لأَنَّهُمْ رَأُوا آبَاءَهُمْ وَأَجْدَادَهُمْ يُقَدِّسُونَهَا وَيَعْبُدُونَهَا وَحَاوَل النَّبِيُّ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، أَنْ يَهْدِيَ قَوْمَهُ الذِيْنَ عَمِيَتْ عُيُونُهُمْ عَنْ رُوْيَةٍ الحَقِّ، وَأَغْلِقَتْ قُلُوبُهُمْ، وَلُو يَعْبُدُونَهُمْ وَتَاهَتْ وَأُوصِدَتْ أَمَامَ كُل خَيْرٍ، وَكُل نُورٍ، فَأَطْلَمَتْ عُقُولُهُمْ وَتَاهَتْ وَالْعَمَى، وَأُوصِدَتْ أَمَامَ كُل خَيْرٍ، وَكُل نُورٍ، فَأَطْلَمَتْ عُقُولُهُمْ وَتَاهَتْ أَوْكُولَ مُنْ رَوْدٍ وَالضَّلالَةِ وَالعَمَى، وَلُو عَلَوْ يَتَخَبَّطُونَ بِمَهَاوِي الشَّرْكِ وَالضَّلالَةِ وَالعَمَى، وَلُو عَلَوْ مَاللَهُ وَالعَمَى، وَلُو عَلَوْ يَتَخَبَّطُونَ بِمَهَاوِي الشَّرْكِ وَالضَّلالَةِ وَالعَمَى، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ، وَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، إلى تَرْكِ عِبَادَةِ وَالعَمَى، وَالى عِبَادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَل، لأَنَّهُ وَحْدَهُ جَدِيرٌ بِالعِبَادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَل، لأَنَّهُ وَحْدَهُ جَدِيرٌ بِالعَبَادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَل، لأَنَّهُ وَحْدَهُ جَدِيرٌ بِالتَّقَدِيْسِ، قَائِلًا لهُمْ:

- يَا قُوْمِ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل، أَرْسَلنِي إليْكُمْ هِدَايَةً وَرَحْمَةً، لآخُذَ بِيَدِكُمْ إليْهِ عَزَّ وَجَل. حَيْثُ تَنْعَمُونَ بِنِعَمِ لَمْ تَرَوْهَا وَلَمْ تَسَمَعُوا بِهَا.

فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ الضَّالُونَ:

- أَلهَذَا تَدْعُونَا يَا يُونْسُ. ؟ تَأْمُرُنَا أَنْ نَدَعَ مَا عَبَدَهُ آبَاؤُنَا وَأَجْدَادُنَا وَنَعْبُدَ إِلهَا لا نَعْرِفُهُ بَل كَيْفَ تَتَجَرَّأُ عَلى ذَلكَ؟ وَأَنْتَ وَاحِدٌ مِنَّا وَمِنْ عَامَّتِنَا. فَقَال لهُمْ يُونُسُ عَليْهِ السَّلاَمُ:

- يَا قَوْمِ اسْمَعُونِيْ وَأَطِيْعُوْنِيْ، يَهْدِكُمُ اللهُ، وَيُخَلِّصْكُمْ مِنْ عَذَابٍ شَدِيْدٍ، ابْتَعِدُوا عَنْ عُقُولكُمْ سَتَائِرَ شَدِيْدٍ، ابْتَعِدُوا عَنْ عُقُولكُمْ سَتَائِرَ الأَوْهَامِ وَالضَّلالةِ، وَعُودُوا إلى رُشْدِكُمْ، وَفَكِّرُوا وَتَدَبَّرُوا، وَانْظُرُوا الأَوْهَامِ وَالضَّلالةِ، وَعُودُوا إلى رُشْدِكُمْ، وَفَكِّرُوا وَتَدَبَّرُوا، وَانْظُرُوا

إلى مَا تَعْبُدُونَ، أهِيَ قَادِرَةٌ أَنْ تَحْمِيَكُمْ مِنَ الشَّرِّ؟ أهِيَ قَادِرَةٌ أَنْ تَحْمِيَكُمْ مِنَ الشَّرِّ؟ أهِيَ قَادِرَةٌ أَنْ تَحْمِيَ وَتُمِيْتَ، أَوْ تَشْفِيَ مَرِيْضاً أَوْ تَرُدَّ ضَالاً.

ثُمَّ لِمَاذَا تُغْلِقُونَ عُقُولَكُمْ، عَنْ هَذَا الدِّيْنِ الذِيْ أَدْعُوكُمْ إليْهِ؟ وَهُوَ الذِيْ يَرْشِدُكُمْ إلى مَافِيْهِ صَلاحُكُمْ، وَيَدُلُكُمْ إلى مَافِيْهِ خَيْرُكُمْ، وَيَدُلُكُمْ إلى مَافِيْهِ خَيْرُكُمْ، وَيَبْشُرُ فِيْمَا بَيْنَكُمُ العَدْل خَيْرُكُمْ، وَيُبَعِّضُ إليْكُمُ الظَّلْمَ وَالطُّغْيَانَ، وَيَنْشُرُ فِيْمَا بَيْنَكُمُ العَدْل وَالأَطْمِئْنَانَ، وَيَدْفَعُكُمْ إلى التَّرَاحُمِ فِيْمَا بَيْنَكُمْ، وَإلى العَطْفِ عَلى الطِّمْيِيْنِ وَالتَّصَدُّقِ عَلى الفَقيْرِ، فَمَاذَا كَانَ جَوَابُهُمْ؟:

لمْ يَظْفَرِ النَّبِيُّ يُونْسُ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْهُمْ إلا بِجَوَابِ الجَاهِلَيْنَ المُتَعَصِّبِينَ، الذِينِ صَدِئَتْ عُقُولهُمْ، قَالوا لهُ:

مَا أَنْتَ يَايُوْنُسُ إِلا بَشَرٌ مِثْلْنَا، وَلَسْنَا بِمُؤْمِنِينَ لَكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَقَال النَّبِيُّ يُوْنُسُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ:

ـ يَا قَوْمُ هَا أَنَذَا، قَدْ دَعَوْتُكُمْ بِاللَّينِ وَالصَّبْرِ، وَجَادَلَتُكُمْ بِالتِيْ هِيَ أَحْسَنُ، وَحَاوَلَتُ هِدَايَتَكُمْ، وَانْتِشَالَكُمْ مِنْ مُسْتَنْقَعِ الضَّلالةِ وَالعَمَى، إلى بَرِّ الأَمَانِ وَالاطْمِئْنَانِ، فَأَوْصَدْتُمْ عُقُولْكُمْ، فَلمْ تَسْمَعُوا لِي وَلمْ تَسْتَجِيْبُوا لِنِدَاءِ رَبِّيْ، وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَصِل دَعُوبِيْ إلى قَرَارَةِ نُفُوسِكُمْ، وَلكِنْ هَيْهَاتَ (١) وَلذَا فَإِنِّي أَنْذِرُكُمْ عَذَابًا وَلَذَا فَإِنِّي أَنْذِرُكُمْ عَذَابًا

⁽١) هيهات: اسم فعل ماض بمعنى بَعُدَ.

وَاقِعاً، وَبَلاءً نَازِلاً، وَهَلاكاً قَرِيْبَاً، فَانْتَظِرُوا عَذَابَ اللهِ، إِنَّ عَذَابَ اللهِ اللهِ اللهِ قَرِيْبًا، فَانْتَظِرُوا عَذَابَ اللهِ اللهِ قَرِيْبٌ.

فَقَال لهُ قَوْمُهُ:

- يَا يُونُسُ. مَاتُحَاوِل إلا عَبَثَا، فَنَحْنُ لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ، وَلَنْ نَخَافَ مِنْ وَعِيْدِكَ وَتَهْدِيْدِكَ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقاً فَأْتِنَا بِالبُرْهَانِ وَالدَّليْل، عَلى مَا تَعِدُنَا مِنْ عَذَابِ السَّعِيْرِ.

هجرة يونس

وَضَاقَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ذَرْعاً، وَلَمْ يَسْتَطِعْ عَلَيْهِمْ صَبْراً، وَقَطَعَ كُلُ أَمَل لهُ فِيْهِمْ، وَيَسْسَ مِنْ كُل رَجَاء، أَلَمْ يَدْعُهُمْ فَلَمْ يُوْمِنُوا؟ أَلَمْ يُبِيِّنْ لَهُمْ طَرِيْقَ الخَيْرِ مِنْ طَرِيْقِ الشَّرِّ فَلَمْ يَرْتَدِعُوا، عِنْدَئِذِ، صَمَّمَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَلَى الرَّحِيْل، فَغَادَرَهُمْ غَاضِبَا مِنْ كُفْرِهِمْ، يَائِساً يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، أَنَّ دَوْرَهُ قَدِ انْتَهَى، وَحَسِبَ مِنْ إِيْمَانِهِمْ، وَظَنَّ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، أَنَّ دَوْرَهُ قَدِ انْتَهَى، وَحَسِبَ مَنْ يَخْفُقُ لَلإِيْمَانِ، وَلَكِنْ لَعَلَّهُ إِنْ كَانَ قَدْ أَطَالَ البَقَاءَ عِنْدَهُمْ، وَالمُكُوثَ بَيْنَ ظَهْرَانِيْهِمْ مُدَّةً أَطُول، وَاسْتَمَرَّ فِيْ نَشْرِ دَعْوَتِهِ، لَرَبَمَا وَالمُكُوثَ بَيْنَ ظَهْرَانِيْهِمْ مُدَّةً أَطُول، وَاسْتَمَرَّ فِيْ نَشْرِ دَعْوَتِهِ، لَرَبَمَا وَالمُكُوثَ بَيْنَ ظَهْرَانِيْهِمْ مُدَّةً أَطُول، وَاسْتَمَرَّ فِيْ نَشْرِ دَعْوَتِهِ، لَرَبَمَا وَالمُكُوثَ بَيْنَ ظَهْرَانِيْهِمْ مُدَّةً أَطُول، وَاسْتَمَرَّ فِيْ نَشْرِ دَعْوَتِهِ، لَرَبَمَا وَالْمُكُوثَ بَيْنَ ظَهْرَانِيْهِمْ مُدَّةً أَطُول، وَاسْتَمَرَّ فِيْ نَشْرِ دَعْوَتِهِ، لَرَبَمَا وَالْمُهُمْ، وَاللَّهُ مُنْ يَخْفُقُ للإِيْمَانِ، وَلَكِنَّهُ رَحَل دُونَ أَنْ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ اللهِ عُرَةٍ، لَيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً ، وَلَيَلقَى النَّبِيُّ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّهُمْ مِنَ اللهِ قَضَاءً، وَيَتَلقَى جَزَاءً.

العذاب فالتوبة

وَيَمْضِيْ يُونْشُ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَلَمْ يَكُدْ يَبْتَعِدُ، إلا قَلَيْلاً، حَتَّى لاحَتْ فِيْ الأَفْقِ، وَظَهَرَتْ عَلائِمُ الهَلاكِ، فَاسْوَدَّتِ السَّمَاءُ، وَتَلبَّدَتْ بِالغُيُوم الدُّكُنِ (١)، وَاغْبَرَّ الجَوُّ فَاصْفَرَّتْ وُجُوهُ القَوْم وَعَلاهَا الخَوْفُ وَالفَزَعُ، وَاضْطَرَبَتْ نُفُوسُهُمْ وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ فَأَيْقَنُوا عِنْدَئِذِ، أَنَّ اللهَ حَقٌّ وَأَنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، نَبِيٌّ مُرْسَل، وَأَنَّ العَذَابَ لاحِقٌ بِهِمْ لامَحَالةَ كَمَا لحِقَ بِأَقْوَام قَبْلهُمْ سَمِعُوا بِهِمْ، كَقَوم عَادٍ وَثَمُوا وقَوم نُوح عَليْهِ السَّلامُ فَثَابُوا (٢) إلى رُشدِهِم، وَخَرَجُوا صِغَاراً وَكَبَاراً، نِسَاءً وَرِجَالاً، إلى أَعَالِي الجِبَال، وَبُطُوْنِ الصَّحرَاءِ، مُتَوسِّليْنَ مُتَضِّرِّعِيْنَ، يَسْأَلُونَ إِلَّهَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلامُ، المَغْفِرَةَ وَالعَفْوَ، فَتَابُوا إلى اللهِ وَآمَنُوا بَعْدَ أَنْ فَرَّقُوا بَيْنَ الأُمَّهَاتِ وَأَطَفَالْهَا، وَالبَقَرِ وَأُولادِهَا، وَالغَنَم وَحِمْلانِهَا، وَأَخَذَ الجَمِيْعُ يَصْرُخُونَ، فَصَاحَتِ الأُمَّهَاتُ خَوْفاً وَجَزَعاً عَلَى أَطْفَالهنَّ، وَخَارَتِ البَقَرُ وَتَغَتِ (٣) الغَنَمُ، فَكَانَتْ سَاعَةً زَال بَعْدَهَا كُلُّ شَيْءٍ، إذْ قَذَفَ اللهُ عَزَّ وَجَل فِيْ قُلوْبِهِمُ التَّوْبَةَ وَالإِنَابَةَ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ

⁽١) الغيوم الدكن: الغيوم السوداء المحملة بالأمطار.

⁽٢) ثابوا: عادوا.

⁽٣) التُّغَاءُ: صوت الغنم.

مِنْ عَظِيْمِ الدُّنُوْبِ، فَبَسَطَ اللهُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ رَحْمَتِهِ، وَرَفَعَ عَنْهُمْ وَقَمَّتُهُ، وَتَقَبَّل مِنْهُمُ التَّوْبَةَ وَالإِنَابَةَ، إِذْ كَانُوا فِيْ تُوْبَتِهِمْ مُخْلَصِيْنَ، وَفِيْ إِيْمَانِهِمْ صَادِقِيْنَ، فَرَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَل عَنْهُمُ العَذَاب، وَمَنَعَ عَنْهُمُ العِقَاب، وَمَنَعَ عَنْهُمُ العِقَاب، فَعَادُوا إلى دِيَارِهِمْ آمِنِيْنَ مُطْمَئِنِيْنَ مُؤْمِنِيْنَ، وكَمْ وَدُّوا لوْ عَادَ إليْهِمُ النّبِيُّ يُوْنُسُ عَلَيْهِ السَّلامُ، ليعِيْشَ مَعَهُمْ نَبِيًّا عَزِيزاً وَمُكَرَّماً وَكَمْ وَدُوا لوْ وَكَمْ وَدُوا لوْ وَكَمْ وَدُوا لوْ عَادَ إليْهِمُ النّبِيُّ يُونْسُ عَلَيْهِ السَّلامُ، ليعِيْشَ مَعَهُمْ نَبِيًّا عَزِيزاً وَمُكَرَّماً وَكَمْ وَدُوا لوْ وَكَمْ وَدُوا لوْ عَادَ إليْهِمْ ليُعَوِّضُوهُ، عَمَّا سَلفَ مِنْهُمْ، مِنْ إِنْكَارٍ وَأَذَى لَحَوْ بِهِ، قَال اللهُ تَعَالى فِيْ كَتَابِهِ العَزِيْزِ:

﴿ فَلُولًا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنْهُ] ﴾ (١).

وَلَمْ يَحْدُثْ أَنْ آمَنَتْ قَرْيَةٌ، بِنَبِيِّ مُرْسَل، إلا قَالَ أَغْنِيَا وُهَا وَمُتْرَفُو هَا: إِنَّا نَحْنُ بِمَا جِئْتَ كَافِرُوْنَ كَمَا قَال تَعَالى:

﴿ وَمَا ۚ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفُوهَا (٢) إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ ـ كَيْفِرُونَ﴾(٣).

وَلَكِنَّ قَوْمَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، آمَنُوا بِكَامِلهِم، يَقُول اللهُ عَزَّ وَجَل فِيْ كَتَابِهِ العَزِيْزِ:

⁽۱) سورة: يونس (۹۸).

⁽٢) مترفوها: أغنياؤها.

⁽٣) سورة: سبأ (٣٤).

﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمُ إِلَى حِينِ ﴾ (١).

وَكَانَ عَدَدُ سُكَّانِ هَذِهِ القَرْيَةِ، أَيْ قَرْيَةِ نَيْنَوَى، التِيْ بُعِثَ إلى أَهْلهَا النَّبِيُّ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، مِئَةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيْدُوْنَ قَلَيْلاً، وَهَذَا مَا يُؤَيِّدُهُ كَلامُ اللهِ عَزَّ وَجَل فِيْ كَتَابِهِ الْعَزِيْزِ:

﴿ وَأَرْسَلْنَكُ إِلَى مِاْئَةِ أَلْفٍ أَق يَزِيدُونَ إِنَّ فَعَامَنُواْ فَمَتَّعْنَكُمْ إِلَى حِينٍ ﴿ (٢).

يونُس في بطنِ الحوتِ

أَخَذَ النَّبِيُّ يُوْنُسُ عَلَيْهِ السَّلامُ، يَسِيْرُ وَيَسِيْرُ، بَعْدَ أَنْ فَارَقَ قَوْمَهَ، وَتَرَكَ دِيَارَهُمْ إِلَى أَنْ وَصَل إلى البَحْرِ، حَيْثُ وَجَدَ مَجْمُوْعَةً مِنَ النَّاسِ، تَهُمُّ بِرُكُوْبِ السَّفِيْنَةِ، فَطَلبَ مِنْهُم أَنْ يَصْطَحِبُوْهُ مَعَهُمْ، وَيَحْمِلُوهُ حَيْثُ يَتَّجِهُوْنَ. فَرَحَّبُوا بِهِ وَقَالُوا لَهُ:

مَ أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ، فَوَاللهِ مَا نَرَاكَ إلا كَرِيْمَ النَّسَبِ، عَظِيْمَ الشَّانِ، وَأَنْزَلُوهُ بَيْنَهُمْ وَأَكْرَمُوهُ إِكْرَاماً عَظِيْماً.

وَمَا إِنْ ابْتَعَدَتِ السَّفِيْنَةُ، قَلَيْلاً عَنِ الشَّاطِيءِ، وَتَجَاوَزُوا البَّرَّ،

⁽١) سنورة: يونس (٩٨).

⁽٢) سورة: الصافات (١٤٧ ـ ١٤٨).

حَتَّى أَرْسَلِ اللهُ عَزَّ وَجَل، رِيَاحاً هَوْجَاءَ (١)، وَكَأَنَّهَا الأَعَاصِيْرُ، فَهَاجَتِ الأَمْوَاجُ، وَمَاجَتْ وَأَخَذَتْ تَتَعَالى، وَمَعَهَا السَّفِيْنَةُ، تَعْلُو وَتَهْبِطُ، كَفَشَّةٍ فِيْ مَهَبِّ الرِّيْحِ، وَأَدْرَكَ رُكَّابُهَا أَنَّهُمْ لا مَحَالةَ سَيَغْرَقُونَ.

وَنَهَضَ أَحَدُ رُكَّابِهَا، وَقَدْ تَفَتَّقَتْ فِيْ ذِهْنِهِ فِكْرَةٌ مَا، قَائِلاً:

ا يَا قَوْمُ هَانَحْنُ وَسُطَ هَذَا البَحْرِ اللَّجِّيِّ، فَالمَاءُ وَالأَعَاصِيرُ تُحِيْطَ بِنَا مِنْ كُل جَانِبٍ، وَلا خَلاصَ لنَا جَمِيْعاً، إلا بِهَلاكِ بَعْضِنَا!! وَدُهِشَ القَوْمُ وَقَالُوا: مَاذَا تَقُول يَارَجُل؟ وَمَنْ هَذَا الذِيْ سَيُضَحِّيْ بِنَفْسِهِ مِنْ أَجْلنَا. فَالتَفَتَ إليهِمْ قَائِلاً: يَاقَوْمُ مَالنَا سِوى التَّخْفِيفِ، فَلا نَجَاةَ لنَا، وَلا مَخْلصَ إلا بِهَلاكِ أَحَدِنَا، حَتَّى نُخَفِّفَ الوَزْنَ وَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى أَنْ تَقْتَرِعُوا، فَمَنْ خَرَجَتِ القُرْعَةُ عَلَيْهِ، أَلْقَيْنَاهُ فِيْ البَحْرِ، فَنَنْجُو بِهَلاكِهِ، وَلاقَتِ الفِكْرَةُ اسْتِحْسَانَا، لدَى رُكَّابِ السَّفِيْنَةِ فَاقْتَرَعُوا فَخَرَجَتِ القُرْعُة عَلَى النَّبِيِّ يُونْسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، لكِنَّ القَوْمَ رَفَضُوا أَنْ يُلقَى النَّبِيُّ يُونُسُ عَليْهِ السَّلاَمُ، وَهُوَ ضَيْفُهُمْ، وَمِنْ وَاجِبِهِمْ إِكْرَامُهُ وَالإِحْسَانُ إليْهِ، فَأَعَادُوا القُرْعَةَ، فَخَرَجَتْ عَلَيْهِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَرَفَضُوا إِلْقَاءَهُ فِيْ البَحْرِ، وَعِنْدَمَا أَعَادُوهَا للمَرَّةِ الثَّالِثَةِ، خَرَجَتْ عَلَى النَّبِيِّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عِنْدَهَا أَدْرَكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ فِي الأَمْرِ سِرًّا لا يَعْلَمُهُ إلا اللهُ تَعَالَى، وَأَنَّ للهِ فِيْ

⁽١) هوجاء: شديد، قوية.

ذَلكَ حِكْمَةً وَتَدْبِيْراً، وَتَذَكَّرَ مَا كَانَ مِنْهُ، عِنْدَمَا تَرَكَ قَوْمَهُ، وَمَا ارْتَكَبَ مِنْ ذَنْبِ وَخَطِيْئَةٍ، عِنْدَمَا غَادَرَهُمْ دُوْنَ إِذْنِ بِالهِجْرَةِ، فَالقَى ارْتَكَبَ مِنْ ذَنْبِ وَخَطِيْئَةٍ، عِنْدَمَا غَادَرَهُمْ دُوْنَ إِذْنِ بِالهِجْرَةِ، فَالقَى بِنَفْسِهِ فِي اليَمِّ المُتَلاطِمِ الأمْواجِ، التِيْ أَخَذَتْ تَتَقَاذَفُهُ، فَيَعْلو وَيَهْبِطُ، وَهُوَ عَليْهِ السَّلامُ، قَدْ أَسْلَمَ نَفْسَهُ لِبَارِيْهَا (٢) عَزَ وَجَل، وَلَكِنَّ اللهَ عَزَ وَجَل، قَد أَسْلَمَ نَفْسَهُ لِبَارِيْهَا لا عَزْ وَجَل، وَلَكِنَّ اللهَ عَزَ وَجَل، شَاءَتْ إِرَادَتُهُ العَليَّةُ، أَنْ يَحْفَظَ يُونُسَ عَليْهِ وَلَكِنَّ اللهَ عَزَ وَجَل، شَاءَتْ إِرَادَتُهُ العَليَّةُ، أَنْ يَحْفَظَ يُونُسَ عَليْهِ السَّلامُ، فَأُوْحَى إِلَى أَحَدِ الحِيْتَانِ، أَنْ يَبْتَلَعَهُ، وَأُمْرَهُ أَلا يَأْكُل لهُ السَّلامُ، فَأُوْحَى إِلَى أَحَدِ الحِيْتَانِ، أَنْ يَبْتَلَعَهُ، وَأُمْرَهُ أَلا يَأْكُل لهُ السَّلامُ، فَأُوْحَى إِلَى أَحَدِ الحِيْتَانِ، أَنْ يَبْتَلَعَهُ، وَأُمْرَهُ أَلا يَأْكُل لهُ ليُورَقٍ.

دعاءً يونُس

اسْتَقَرَّ يُوْنُسُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فِيْ بَطْنِ الحُوْتِ، الذِيْ أَخَذَ يَشُقُّ عُبَابَ الأَمْوَاجِ، وَيَهْوِيْ إلى القَاعِ، ثُمَّ يَصْعَدُ، وَيَنْتَقِل مِنْ بَحْدٍ إلى عُبَابَ الأَمْوَاجِ، وَيَهْوِيْ إلى القَاعِ، ثُمَّ يَصْعَدُ، وَيَنْتَقِل مِنْ بَحْدٍ إلى بَحِدٍ، وَيُونُسُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، لاَ حَرَاكَ فِيْهِ، فَحَسِبَ أَنَّهُ مَاتَ وَعِنْدَمَا حَرَّكَ جَوَادِحَهُ مُنَّ مَا تَحَرَّكَ أَنَّهُ حَيْ يُرْزَقُ فَخَرَّ سَاجِداً للهِ عَزَّ حَرَاكَ أَنَّهُ حَيْ يُرْزَقُ فَخَرَّ سَاجِداً للهِ عَزَّ وَجَل قَائِلاً:

ـ يَا رَبِّ لَقَدِ اتَّخَذْتُ مَسْجِداً أَعْبُدُكَ فِيْهِ، لَمْ يَتَّخِذْهُ أَحَدٌ مِنْ قَبْل.

⁽١) اليم: البحر.

⁽٢) باريها: خالقها.

⁽٣) جوارحه: أعضاءه.

وَسَمِعَ النّبِيُّ يُونُسُ عَلَيْهِ السّلامُ، وَهُوَ فِيْ بَطْنِ الحُوْتِ، تَسْبِيْحَ الحِيْتَانِ للهِ عَزَّ وَجَل، كَمَا سَمِعَ تَسْبِيْحَ الحَصَى لرَبِّ السّمَوَاتِ السّبْعِ وَالأَرْضِيْنَ السّبْعِ، وَمَا بَيْنَهَا وَمَا تَحْتَ الثّرَى (١١)، وَعِنْدَئِذٍ قَال السّبْعِ وَالأَرْضِيْنَ السّبْعِ، وَمَا بَيْنَهَا وَمَا تَحْتَ الثّرَى (١١)، وَعِنْدَئِذٍ قَال يُونُسُ عَلَيْهِ السّلامُ مَا قَال، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ ذُوْ العِزَّةِ وَالجَلال، عَالمُ الخَفَايَا وَإِنْ صَغْرَتْ، وَمُجِيْبُ الدَّعَوَاتِ وَإِنْ عَظُمَتْ، حَيْثُ قَال فِيْ كَتَابِهِ العَزِيْزِ:

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذِذَهَبَ مُعَنَضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظَّلُمَنَ أَن لَّن نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظَّلُمَنَ أَن لَا إِلَا أَنتَ سُبْحَننَكَ إِنِّ كُنتُ مِنَ ٱلظَّلِمِينَ ﴿ فَالسَّتَجَبْنَا لَمُ وَنَعَيْنَكُ مِنَ ٱلْعَلْمِينَ ﴾ (٢).

وَيَقُوْلَ اللهُ عَزَّ مِنْ قَائِل سُوْرَةِ القَلمِ: ﴿ فَأَصَبِرَ لِلْكُمْ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كُن كَصَاحِبِ ٱلْمُؤْتِ (٣) إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤) ﴿ لَيْ لَوَلَا آن تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِن زَيِّهِ لَنَيْذَ (٥) إِلَّا مَرَابُهُ وَعَمَالُهُ مِنَ الصَّلِحِينَ ﴾ (٧).

⁽١) الثرى: الترب.

⁽۲) سورة الأنبياء (۸۸ ۸۸).

⁽٣) أي في الضجر والعجلة.

⁽٤) مُكظوم: مملوء غماً في بطن الحوت.

⁽٥) لنبذ: أي طُرد من بطن الحوت.

⁽٦) فاجتباه: اختاره.

⁽٧) سورة القلم (٨١ _ ٥٠).

نجاة يونس

اسْتَجَابَ اللهُ عَزَّ وَجَلِ لدُعَاءِ يُونْسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَأَوْحَى إلى المُونِ مِنْ المَاءِ أَنِ الفُظْ وَأَلَقِ مَا فِيْ بَطْنِكَ فِيْ العَرَاء، بَعْدَ أَنْ المُونِ مِنْ المَاءِ أَنِ الفُظْ وَأَلَقِ مَا فِيْ بَطْنِكَ فِيْ العَرَاء، بَعْدَ أَنْ اللهُ عَذَّرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَل بواسِعِ بَطْنِ الحُونِ ضَعِيْفاً سَقِيْماً مَرِيْضاً فَتَلقّاه اللهُ عَزَّ وَجَل بواسِعِ بَطْنِ الحُونِ ضَعِيْفاً سَقِيْماً مَرِيْضاً فَتَلقّاه اللهُ عَزَّ وَجَل بواسِعِ رَحْمَتِه، وَعَظِيْمٍ مَعْفِرَتِهِ، فَرَزَقَهُ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِيْن (١١)، أكل مِنْ ثَمَرِها وَتَفَيَّأ (١٢) بِظِلها كَمَا هَيًّا اللهُ عَزَّ وَجَل لهُ أَرْوِيَةً (١٣) أَرْضَعَتْهُ بِلبَيْهَا (١٤)، وَتَقَيَّأ (١٤)، فَكَانَتْ تَأْتِيْهِ بُكْرَةً وَعَشِيْدًة، حَتَّى عَادَتْ إليْهِ العَافِيَةُ وَدَبَّتْ فِيهِ مَاءُ لَكَانَتْ تَأْتِيْهِ بُكْرَةً وَعَشِيْدًة، حَتَّى عَادَتْ إليْهِ العَافِيَةُ وَدَبَّتْ فِيهِ مَاءُ الحَيَوِيَّةَ وَالنَّشَاطِ فَاسْتَوَى وَاقِفاً وَرَجَعَ اللهَ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهَ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ

⁽١) يقطين: القرع.

⁽٢) تفيأ: استظل.

⁽٣) أروية: أثنى الوعل جمعها أروى.

⁽٤) اللبن: الحليب.

وَجَل بِكُل مَنْ دَعَاهُ وَاسْتَجَارَ بِهِ، مُخْلصاً مُنِيْبَاً فَمَنْ حَفِظَ اللهَ حَفِظَ اللهَ حَفِظَهُ، وَمَنْ ذَكَرَهُ فِي الرَّخَاء أَنْقَذَه فِي الشِّدَّةِ.

يَقُونُلُ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«يَا غُلَامُ إِنِّيْ مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ».

* * * * *